مجلة جامعة تشرين للدراسات والبحوث العلمية _ سلسلة الآداب والعلوم الإنسانية المجلد (29) العدد (2)2007
Tishreen University Journal for Studies and Scientific Research- Arts and Humanities Series Vol. (29) No. (2) 2007

مفهوم الرؤيا في النقد العربي المعاصر

الدكتور يعقوب البيطار*
الدكتور فاخر ميا**
زكوان العبدو ***

(تاريخ الإيداع 19 / 2 / 2007. قبل للنشر في 16 / 8 / 2007)

□ الملخّص □

لعل تطور الوعي، والنضج الفكري والثقافي، وفهم الشاعر المعاصر لحركة المجتمع، واطلاعه على التاريخ منح الشاعر طاقة معرفية هائلة راح يبثها في شعره، وبهذا تجاوز الشاعر الرؤية الفكرية للفن والواقع، إلى الرؤيا التي تمنحه القدرة على الكشف والتنبؤ بالمستقبل واستشرافه.

من هنا، التفت النقد المعاصر إلى أهمية الرؤيا في الشعر، خاصة أنها تجاوزت الذاتية إلى الرؤيا القومية عند بعض الشعراء، وإلى الرؤيا الكونية عند بعضهم الآخر.

غير أنّ مفهوم الرؤيا ظلت تشوبه غمامة من اللبس والغموض رغم محاولة عددٍ من النقاد تحديد مفهوم واضح لهذا المصطلح من خلال تجلياته في الشعر المعاصر، كما حاولوا توضيح دلالاته ومعانيه وقد ظهرت اهتمامات موزعة بين دراسات نظرية، وأخرى تطبيقية منها ما احتفى بالرؤيا لتشكّل أساس الدراسة، ومنها تناولها في سياق دراسة مقومات الشعر المعاصر، وبهذا تكون الرؤيا مقوّماً مهمّاً من مقوّمات الشعر المعاصر، وإحدى وسائل إدراك جوهر هذا الشعر، وكشف معانيه، مما جعل هذه الدراسة تسعى إلى تقديم مفهوم واضح للرؤيا من خلال البحث في مجموعة من الآراء النقدية العربية المعاصرة ومحاولة توضيح مضامينها وتقصي دلالاتها .

كلمات مفتاحية: الرؤيا، النقد، المعاصر، الكشف.

* أستاذ – قسم اللغة العربية – كلية الآداب والعلوم الإنسانية – جامعة تشرين – اللاذقية – سوريا.
** أستاذ – قسم اللغة العربية – كلية الآداب والعلوم الإنسانية – جامعة تشرين – اللاذقية – سوريا .
*** طالب دكتوراه – كلية الآداب والعلوم الإنسانية – جامعة تشرين – اللاذقية – سوريا.

مجلة جامعة تشرين للدراسات والبحوث العلمية _ سلسلة الآداب والعلوم الإنسانية المجلد (29) العدد (2)2007
Tishreen University Journal for Studies and Scientific Research- Arts and Humanities Series Vol. (29) No. (2) 2007

The Concept of Vision in Contemporary Arabic Criticism

Dr. Yakoub Al-Bittar [*]
Dr. Fakher May**
Zakwan Al-Abdo***

(Received 19 / 2 / 2007. Accepted 16 / 8 / 2007)

□ ABSTRACT □

The development of consciousness and intellectual revival, together with the understanding of contemporary poets of the dynamics of sociology and their acknowledgement of historical facts may endow them with a huge cognitive energy intermitted in their verse. So they exceeded the intellectual vision to a world which enabled them to reveal and foresee future.

Therein the contemporary criticism has turned to give importance to imagery and vision in poetry, especially to transverse subjectivism to national vision and then to cosmic vision.

Critics have tried to define the clear concept of this idea in contemporary poetry. They also have tried to clarity its denotations and connotations. For this reason vision has become an important factor in contemporary poetry and good key to conceive the essence and the meaning of this poetry.

Keywords: Vision, Criticism, Contemporary, Revelation.

[*]**Professor, Department of Arabic, Faculty of Arts and Humanities, Tishreen University, Lattakia, Syria.**
****Professor, Department of Arabic, Faculty of Arts and Humans, Tishreen University, Syria.**
***** Postgraduate Student, Department of Arabic language, Faculty of Arts and Humanities, Tishreen University, Syria.**

لقد بات واضحاً أنّ الرؤيا تشغل حيّزاً واسعاً من المساحة الشعرية المعاصرة، وهذا ما جعل النقاد يلتفتون إلى أهميتها، والاعتناء بدراستها، وهنا، أخذت الدراسات النقدية تبحث في معنى هذا المصطلح، ومفهومه، ودلالاته.

وإذا كانت الرؤيا ظاهرة مهمة في الشعر الحديث، والدراسات التي اهتمت بها كثيرة، فإنّ هذه الدراسة تسعى إلى تقصي العديد من الآراء النقدية العربية المعاصرة التي حاولت تقديم مفهومٍ للرؤيا، جاعلةً من هذه الآراء محاور لتحديد دلالات الرؤيا ودورها في بثّ التجربة الشعرية.

وتكمن أهمية هذه الدراسة في أنها تحاول استنباط مفهومٍ واضحٍ وعميقٍ ، في الوقت ذاته، للرؤيا، كما أنها تحاول توضيح دورها في تقديم موقف الشاعر ووعيه الحضاري، وتطلعاته المستقبلية، من خلال فهم الحاضر، والنفاذ إلى أعماقه، كما أن الدراسة تعرض آراء مجموعة من النقاد المعاصرين الذين اهتموا بالرؤيا، وتبيّن مفاهيمهم، المتباينة أحياناً، والمتلاقية أحياناً أخرى، جاهدةً في انتقاء المفاهيم ذات الوعي النقدي المتميّز.

وإن لم تكن الدراسة رائدةً فيما تسعى إليه، فإنها تحاول الربط بين مجموعة من المفاهيم النقدية العربية المعاصرة، من أجل الوصول إلى رؤيةٍ نقديةٍ متماسكةٍ تسعف الدارس في فهم العلاقات الشعرية، والكشف عن مضامينها، وتكوين مفهوم متكامل للرؤيا، بوصفها مقوماً مهماً من مقومات الشعر المعاصر.

مفهوم الرؤيا من المفاهيم الجديدة التي دخلت أدبنا، بعد الحرب العالمية الثانية، وشاع استعماله مع انتشار الشعر العربي الحديث، لكن ظل الغموض يشوبه، واختلف النقاد في تحديده فمنهم من يعرّف به الشعر الحديث، ومنهم من يجعله علامة على المضمون، وبعضهم جعل منه أحد المناهج النقدية، وبعضهم الآخر يجعله أداة من أدوات الصياغة ووسيلة من وسائل التعبير [1]، وهذا ما دفعنا إلى التساؤل عن مفهوم الرؤيا، وتحديد أبعاده في النقد العربي الحديث .

إنّ مصطلح " الرؤيا " في الاستخدام اللغوي يشير إلى ما يُرى في المنام، فلفظة "رؤيا" تعني ما يراه النائم في المنام، وجاء فيما تراه في اليقظة، وجمع الرؤيا "رؤى"[2]، أما "الرؤية" فتكون بالعين، وبالقلب، والرّءاء تعني الكثير الرؤية [3]. وعليه، فإن الفرق واضح بين الرؤية، والرؤيا في المعاجم، وفي القرآن الكريم وردت الرؤيا بمعنى الحلم أيضاً، قال تعالى : ((**قد صدقت الرؤيا إنّا كذلك نجزي المحسنين**)) [4]، وقد ميّز الإسلام بين الرؤيا الصالحة،والرؤيا السوءفقد جاء في الحديث الشريف:((**الرؤيا الصالحة من الله، والرؤيا السوء من الشيطان**)) [5]، وقد ارتبطت الرؤيا الصالحة بالإيمان((**رؤيا المؤمن جزءٌ من ستةٍ وأربعين جزءاً من النبوة**)) [6].

يتضح من تتبع الدلالات القديمة للرؤيا أنها ارتبطت في الدلالة على الحلم فما علاقة هذه الدلالة بالحلم الشعري ؟ وما علاقة أحلام اليقظة بالرؤيا الشعرية الحديثة ؟ وما هو مفهوم الرؤيا في النقد العربي المعاصر؟

---

[1] محمد إسماعيل دندي. *حداثتنا الشعرية"مفهومها وإشكالاتها"*(دمشق : دار معد، الطبعة الأولى،1996) 35.

[2] ابن منظور *لسان العرب*،المجلد الرابع عشر (بيروت: دار صادر، دون رقم الطبعة ،دون تاريخ) (مادة رَأَيَ)،وانظر: أحمد رضا.معجم *متن اللغة*،المجلد الثاني(بيروت: دار مكتبة الحياة، دون رقم الطبعة ،1958) (مادة رَأَيَ).

[3] الفيروز آبادي. *القاموس المحيط*، الجزء الرابع. (مصر :مطبعة مصطفى البابي الحلبي، الطبعة الثانية،1952) (مادة رَأَىَ).

[4] سورة الصافات، الآية/105 وقد ورد ذكر الرؤيا في القرآن الكريم في أربع سور هي: سورة يوسف، لآية/5، والآية /43، والآية /100، وسورة الإسراء ،الآية /60، وسورة الصافات، الآية/105 ، سورة الفتح ،الآية/ 27.

[5] مسلم . *صحيح مسلم*، الجزء الرابع (بيروت: دار إحياء التراث العربي، الطبعة الثانية ،1972) 1772 .

[6] حديث شريف. المصدر السابق نفسه. 1773 .

لكل مصطلح نقدي دلالات ومعانٍ تعكسها ماهيته وخصوصيته النقدية، وللوقوف على هذه الدلالات والمعاني أهمية بارزة في النقد التطبيقي والتحليل الأدبي ،فانتقال اللفظة من معناها العام إلى معناها الخاص في السياق المعرفي الذي تستعمل فيه يجعل منها لفظاً موضوعياً يؤدي معنى معيناً [7].

والرؤيا الشعرية الحديثة، بوصفها مركزاً لبث التجربة، تزيد الشاعر تفرّداً وأصالةً ، جنباً إلى جنب مع صدق تعبيره عن روح العصر والجيل [8]، إلا أنّ الفرق كبير بين((الرؤيا الفردية"القائمة على فرد والتي تمثل أحلام فئة" والرؤية الاجتماعية" الممثلة لتطلعات مرحلة وآمال مجتمع")) [9]، وهناك فرق أيضاً بين الرؤيا الفردية وتجسيد الرؤيا في فرد، فمن معاني الرؤيا أنها((طموح الشاعر وسعيه لرسم هذا الطموح وتجسيده، وغالبا ما يتمثل هذا الطموح بعداً طبقيّاً يمثله الفرد)) [10]، كما أنّ الفنّان الذي يؤكد تصوراته الذاتية عن الجمال، إنما هو المعبّر الجمالي عن المثل العليا لقوى اجتماعية معيّنة .

إذن ، فالمسائل التي تثير الشاعر مشروطة دائماً بحياة معاصريه [11]، وهو حين يخلق صوراً فردية فإننا ندركها كأنها وقائع مشخصة سواء أكانت ظواهر واقعية أم كانت نتاج خياله، ونحن إذ نتعرّف إلى الشخصيات الأدبية التي يبدعها الفنانون نتعرّف أيضاً إلى الصفات الإنسانية الأصيلة التي تكونت عبر التجربة الإنسانية ونتعرّف إلى المصير الذي يتعرض له الإنسان في مختلف الظروف الاجتماعية [12].

وهكذا، يقيّم الشاعر الحقيقة الحياتية – بكشفه عما هو عام – من خلال الفرد[13]، فالرؤيا تعني النفاذ إلى جوهر العلاقات الاجتماعية والنفس الإنسانية، واكتشاف النواقص، إنها اختراق لما هو قائم واتجاه نحو المستقبل[14].

والرؤيا بمعنى استشراف المستقبل والتنبؤ به هي تجربة مع المستقبل من خلال الواقع عن طريق الذات المبدعة، ومن علائم هذه التجربة الوعي والنضج [15]، فالشاعر الذي يعي دوره في المجتمع، هو الذي يفيد مما قدمته الحركة التاريخية النامية فيتطلع بما لديه من معارف كوّنها، إلى المستقبل [16].

وهذا يعني أنّ الرؤيا لا تتشكل بعفوية وإنّما ((هي حصيلة معاناة اجتماعية قامت أساساً على محاور كونية متقاطعة، توحّد في مركزها الشاعر مع الحياة بفئاتها حتى خبرها واستوعبها ،وصار من هذا المركز يبث رؤاه على تلك المحاور في اتجاهاتها المختلفة، تبعاً لغنى تجربته وخصبها)) [17]. وعليه، فالرؤيا ((خروج من اللحظة الجزئية إلى لحظة يتعانق فيها الماضي والمستقبل))[18].

---

[7] د.عناد غزوان.*الصورة في القصيدة العراقية الحديثة* .مجلة الأقلام، بغداد ،(السنة22)، العددان / 11–12/،(1987)83.

[8] د.غالي شكري. *شعرنا الحديث إلى أين* ؟(بيروت: دار الآفاق الجديدة ،الطبعة الثانية، 1978)22 .

[9] د عبد الله عساف. *الصورة الفنية في قصيدة الرؤيا* (القامشلي : دار دجلة، الطبعة الأولى،1996) 166.

[10] د عبد الله عساف. *الصورة الفنية في قصيدة الرؤيا* (القامشلي : دار دجلة، الطبعة الأولى،1996) 166.

[11] جماعة من الأساتذة السوفييت. *أسس علم الجمال الماركسي اللينيني*، الجزء الثاني، تعريب : د. فؤاد المرعي (دمشق : دار الجماهير العربية – بيروت : دار الفارابي، دون رقم الطبعة، 1978) 34.

[12] د. فؤاد المرعي. *مقدمة في علم الأدب* (بيروت:دار الحداثة،الطبعة الأولى،1981)33.

[13] المرجع السابق نفسه. 15 .

[14] د. عبد الله عساف. الصورة الفنية في قصيدة الرؤيا .166

[15] المرجع السابق نفسه. 165 .

[16] د. يوسف جابر. *قضايا الإبداع في قصيدة النثر* (دمشق: دار الحصاد، الطبعة الأولى ،1991) 180 .

[17] المرجع السابق نفسه .180

[18] د. خالدة سعيد. *حركية الإبداع* (بيروت: دار العودة، الطبعة الثانية ،1982) 262 .

أمّا فيما يخص الرؤيا من حيث هي كشف فنرى أن أدونيس من أبرز النقاد الذين اهتموا بالرؤيا من هذا الجانب. ويذهب أدونيس إلى أنّ الرؤيا وسيلة الكشف عن الغيب ،إذ ينكشف الغيب للرائي فيتلقى المعرفة كأنما يتجسد له الغيب في شخص ينقل إليه المعرفة، ولا تحدث الرؤيا إلا في حالة انفصال عن المحسوسات، ويحدث الانفصال في حالة النوم، فتسمى الرؤيا عندئذٍ حلماً[19].

من هنا، يرفض الرائي عالم المنطق والعقل، فالرؤيا تجيء بشكل مفاجئ أو تجيء إشراقاً، والرؤيا إذن تكشف، إنها ضربة تزيح كل حاجز، أو هي نظرة تخترق الواقع إلى ما ورائه، والغموض، هنا، ملازم الكشف، إلا أنّه غموض " شفّاف" لا يتجلى لمنطق التحليل العلمي، إنما بنوع آخر من الكشف وذلك باستسلام القارئ له فيما يشبه الرؤيا فنحن لا ندرك الرؤيا إلا بالرؤيا .

وما يتجاوز منطق العقل، لا يصح أن نحكم له أو عليه بهذا المنطق ذاته [20]، والرؤيا من هذه الناحية((تكشف عن علاقات بين أشياء تبدو للعقل أنها متناقضة ولا يربط فيما بينها أي شكل من أشكال التقارب. وهكذا تبدو الرؤيا، في منظار العقل، متضاربة وغير منطقية وربما بدت نوعاً من الجنون)) [21]، كما أنها تتجاوز الزمان والمكان، فتتجلى أشياء الغيب للرائي خارج التسلسل الزماني وخارج المكان المحدود فليس بين السبب والنتيجة فاصل زمني. وغنى الرؤيا مرتبط بغنى صاحبها، أي بقدرته على الابتكار. وهذا يعني أن الرؤيا إبداع، وقد يكون الإبداع كشفاً لما لم يعرف بعد .

وهنا يقدّم المبدع صورة جديدة للعالم[22]، و((الطريق التي يترسمها الإبداع، حدسية، إشراقية، رؤياوية))[23]، وهي تبحث عن الحلول في الحياة ،في تفجر ممكناتها، فالشاعر يغنّي صورة الواقع كما يتمثلها في نفسه، ويغنّي التغيُّر الذي يحمل الصورة الآتية.[24]

من هنا، ينفذ الشاعر برؤياه إلى أعماق العالم وترسخ في نفسه صورة الواقع كممكن. وعليه، يبقى الشاعر سائراً في اتجاه المستقبل باحثاً عن الممكن اللانهائي ((وكما أن صورة الممكن تتحرك أمام الشاعر في تغير مستمر، كذلك يصبح الشاعر متحركاً يسير بسهولة وحرية عن طريق الإبداع ،ويصير وجهاً لوجه في تواصل مع حركة الكون في الأغوار الخفية التي تغذي ينابيع التغيُّر)) [25]، وهو يستعين بالخيال والحلم والرؤيا كي يعانق واقعه الآخر بهاجس تغيير الواقع وتغيير الحياة، فالواقع الذي يتطلع إليه هو الممكن الذي يختزن لا نهائية الواقع[26].

((فكل واقع نتجاوزه يوصلنا إلى واقع آخر أغنى وأسمى هذا البحث عن الواقع الآخر، عن الممكنات، هو ما يعطي الكشوف الشعرية فرادتها. ففي هذه الكشوف يتعانق المرئي مع اللامرئي والمعروف مع المجهول والواقع المحسوس مع الحلم. وهكذا، تكتمل رؤيا الشاعر في جدلية الأنا والآخر،الشخص والتاريخ ،الذات والموضوع، الواقع وما فوق الواقع)) [27].

---

[19] أدونيس،*الثابت والمتحول*، الجزء الثالث *"صدمة الحداثة"* (بيروت: دار العودة، الطبعة الرابعة ، 1983)166.

[20] المرجع السابق نفسه.167

[21] المرجع السابق نفسه.167

[22] انظر: المرجع السابق نفسه.167-168.

[23] أدونيس. *مقدمة للشعر العربي* (بيروت: دار العودة، الطبعة الرابعة، 1971) 118.

[24] المرجع السابق نفسه. 119.

[25] المرجع السابق نفسه.120.

[26] المرجع السابق نفسه.120.

[27] المرجع السابق نفسه. 120-121.

وعندما يجسد الشاعر رؤاه في النص الشعري تصبح القصيدة مركز هذه الرؤيا وحاضنها ونحن في تعرفنا على طبيعة هذه الرؤيا، نقوم بالدخول إلى القصيدة، وإدراك الرؤيا فنقوم بمشاركة الشاعر في خلق قصيدته من جديد[28]. وهنا، نجد أنّ أدونيس مؤمن بنفاذ الشاعر بوساطة الرؤية إلى أعماق العالم ،حيث يمتلك الرائي الأشياء، وينفذ إلى حقيقتها، فتصبح القصيدة أشبه بالبرق الذي يضيء جوهر العالم، ودخيلاءه .

وهكذا، تكون الصورة مفاجأة ودهشاً – تكون رؤيا[29]. وإذا تجردت الصورة من الناظم الرؤياوي الخلاق فإنها تصبح صورة انفعالية سرعان ما تموت. وبهذا، لا يجوز أن نبحث عن الصورة بذاتها، وإنما عن الكون الشعري وصلته بالإنسان والعالم، والكشف عنها[30].

من هنا، نصل إلى نتيجة واضحة هي أنّ الشعر لا يعرف الاستقرار والوقوف عند حدّ معيّن، وأنّ الشاعر هو الرائي أو الرائد الذي يضيء ويومئ ويكشف [31] .

مما تقدم نجد أنّ أدونيس في آرائه المبثوثة في كتاباته، يتطلع إلى ما ينبغي أن يكون عليه الشعر العربي بتصوّر جمالي يطفح بالتنبّؤ والكشف، ويتنامى بالرؤيا [32].

أمّا الدكتور محيي الدين صبحي فيرى أنّ الرؤيا ربما تكون صورة أو نظرة إلى العالم أو تبصّراً في مصير الإنسان، أو كل ما هو تعبير من الكاتب عن قسم من فلسفته للحياة في قصائد، وهو تجربة جمالية تعتمد على تنامي استبصار القارئ في هذه الرؤيا بغية التماهي النهائي مع وعي الشاعر.

وعليه، فإن الرؤيا نظرة شاملة وليست فلسفة شاملة. لذلك، قد تحمل جزءاً من رؤيا الشاعر راسباً في المستويات غير الإدراكية منه[33]، كما يرى الدكتور محيي الدين صبحي أيضاً أنّ((التخيّل، والكلية، و" الأمثلة"،" والنمذجة"، والتأمّل والنظام (أي اكتشاف علّة لوجود الأشياء أو نسق تسير عليه الأمور) من خصائص الرؤيا التي ترى الأمور بعين جديدة تسعى إلى الاندهاش والتعجب تجاه الأمور المألوفة)) [34].

إنّ تجربة الشاعر تتنزل بنوع من التجلي المفاجئ، والتجلي هو اللحظة التي يصير فيها ما كان يتفاعل في الخفاء من عناصر التجربة بادياً للعيان في الإدراك والتعبير [35] ((إنه الحدس التعبيري الذي يتخذ شكل صورة تقع بين المفهومات التي تتكون منها التجربة، ولهذا السبب أيضاً يحمل صورتي المفهوم والإدراك الحسي في وقت واحد، وبالتالي فهو جوهر الرؤيا))[36].

من هنا، نجد أنّ الدكتور محيي الدين صبحي يجعل الرؤيا ذات صبغة شمولية وساطتها التجلي النابع من تجربة جمالة ينصهر فيها الوعي واللاوعي الواعي في سياق كلّي .

---

[28] د. يوسف جابر. قضايا الإبداع في قصيدة النثر 180.

[29] أدونيس. *زمن الشعر*.(بيروت: دار العودة، الطبعة الثانية ،1978)154.

[30] أدونيس. *زمن الشعر*.(بيروت: دار العودة، الطبعة الثانية ،1978)154.

[31] د. خالدة سعيد. حركية *الإبداع*. 90.

[32] انظر:خيرة حمر العين. جدل *الحداثة في نقد الشعر العربي* (دمشق:اتحاد الكتاب العرب،دون رقم الطبعة، 1996)47.

[33] محيي الدين صبحي.*الرؤيا في شعر البياتي* (دمشق:اتحاد الكتاب العرب، دون رقم الطبعة ،1986) 46.

[34] المرجع السابق نفسه.39 .

[35] المرجع السابق نفسه. 40.

[36] المرجع السابق نفسه. 40.

ويذكر الدكتور عبد الله عسّاف عدّة عناصر تشترك في تمتين قوة الرؤيا ووضوحها إلى جانب وعي الواقع هي : التجربة الحياتية، التجربة الشعرية، الحدس الموضوعي والقدرة على النفاذ إلى جوهر الأشياء، الأيديولوجيا[37].

وهو يرى أنّ الرؤيا اختراق للرؤية [38]، وقد يكوّن الشاعر الرؤيا عن طريق توظيف الإمكانات المتاحة من كلمة، وتركيب، ورمز، وإيقاع، وصورة، وأسطورة، بمعنى أنّ القصيدة تحاول بناء عالم يتجه إلى الرؤيا مباشرة، ويمكن أن تسمى القصيدة التي تبنى على هذا النوع قصيدة الرؤيا وقد يتمّ تكوينها عن طريق توظيف الإمكانات من خلال المواقف المثارة في صورة الرؤية [39].

وفي هذا النوع الأخير من الرؤيا يكون دور المتلقي كبيراً ومجهداً لأنّه يشارك في تكوينها، مثله كمثل الشاعر الذي يبدع العمل [40].

مما تقدم يبدو لنا أنّ الدكتور عبد الله عساف تنبه إلى أهمية دور المتلقي في تكوين الرؤيا ،إضافةً إلى ما قدمه من فهم لعناصر تمتين قوة الرؤيا، أما فيما يخص طرق تكوين الرؤيا فإننا نجد أن الرمز والصورة والأسطورة وغيرها من تقنيات إنما هي وسائل لتجسيد الرؤيا وبثّها في التجربة أو ربما نستطيع القول : إن الصورة هي السياق الجمالي الذي يقدم الرؤيا.

إذن، تتجسّد الرؤيا في الصورة التي هي من اكتشاف الشاعر ،وولادة الصورة هي خلاصة تجربة الفنان الحياتية وتفكيره وبحثه[41]، ويشارك المتلقي بما لديه من مرجعية معرفية وتذوّق جمالي في إعادة إنتاج النص وفق منظومة رؤيوية يعايشها، فشعر الرؤيا لا يقدّم للقارئ تجسيداً لفكرة أو إحساس إنما رؤيا تعاش من خلال القراءة والاستماع [42]، وشاعر الأمّة هو الذي يتحرّك ضمن الرؤيا الجماعية والتراث المشترك لأبناء أمّته وعصره [43].

ومن أبرز الشعراء الذين تمتعوا برؤيا شمولية كونية خليل حاوي، وسعدي يوسف، وأدونيس، وبلند الحيدري، وعبد الوهاب البياتي ...، فالرؤيا عند خليل حاوي تتير التجربة فهو يعرّف الشعر بأنه ((رؤيا تتير تجربة وفن قادر على تجسيدهما)) [44]، أما رؤيا البياتي فهي متعلقة باستقراء حوادث التاريخ والإيمان بأن حركته إلى الأمام وصلة الوصل بين الماضي والمستقبل هو حاضر الشاعر الذي يحدسها ويتنبأ بها ،ويصنعها أيضاً [45]، وهناك من ربط الحداثة بالرؤية من مثل خيرة حمر العين التي تقول : ((إذا كانت الحداثة في صميم جوهرها هي رؤيا تساؤل، وتحوّل، وانبعاث فقد بدت تجلياتها واضحة في الانتقال من نمط الكلام إلى إيحاء الكلمات ،وذلك عبر تحولات اللغة ومتغيراتها، بوصفها مجالاً خصباً، لإمداد الخطاب الشعري بالزخم الجمالي والرؤيوي، على اعتبار أنّ الرؤيا حلم، والحلم عالم

---

[37] د. عبد الله عساف. الصورة *الفنية في قصيدة الرؤيا* 166.

[38] المرجع السابق نفسه111.

[39] المرجع السابق نفسه.165 .

[40] المرجع السابق نفسه.165 .

[41] جماعة من الأساتذة السوفييت. *أسس علم الجمال الماركسي اللينيني*، الجزء الثاني، تعريب: د. فؤاد المرعي. 25.

[42] انظر: شوقي خميس. *المنفى والملكوت في شعر عبد الوهاب البياتي* (بيروت: دار العودة، الطبعة الأولى،1971)80.

[43] محيي الدين صبحي. *دراسات تحليلية في الشعر العربي المعاصر*.(دمشق : وزارة الثقافة، دون رقم الطبعة، 1972)6.

[44] د. ريتا عوض." *رائد القصيدة الحديثة يعيد للشعر دوره الحضاري*"، مقدمة ديوان خليل حاوي.بيروت: دار العودة ، دون رقم الطبعة، (1993)10. ولعل دارس شعر خليل حاوي يكتشف أهمية الرؤيا ودورها في تجسيد وعيه الحضاري وموقفه القومي .

[45] جمال كمال بك."*ملامح قراءة التجربة الشعرية عند البياتي* ".مجلة الموقف الأدبي ،دمشق، (السنة26)، العدد/307/تشرين الثاني، (1996)62.

تخييلي، ومن هنا كان تعارض الرؤيا مع غريزة التقليد))[46]، وبهذا فإننا نجد هذه الناقدة تتفق مع أدونيس، وخالدة سعيد في أنّ الرؤيا ترتبط بالقدرة على الابتكار، والإبداع، وعدم استقرار الشعر، ووقوفه عند حدّ معيّن من الكشف .

وهكذا فقد كان التحوّل صوب الحداثة محاولة واعية وجريئة، فقد قاد جيل الستينيات الشعر باتجاه الرؤيا،وهنا تكمن قيمته التي تتعمق من رؤيا الهلع الميتافيزيقي إلى رؤيا الفعل الثوري الكامن، أو المستمر في الواقع [47].

ولعلنا نؤكد قيادة جيل الستينيات الشعر باتجاه (الرؤيا / الفعل الثوري)، بغض النظرعن كونها وجودية، أو صوفية، أو سريالية. . .، فلدى قراءتنا أشعار السياب والبياتي، وأدونيس، وخليل حاوي، وصلاح عبد الصبور، وغيرهم من جيل الستينيات، ودراستنا عدداً من قصائد هذا الجيل، تلمسنا ارتباط الرؤيا بالفعل الثوري فالرؤيا ،من حيث هي نفاذ إلى جوهر الأشياء، وفهم حركة المجتمع والتاريخ، وتنبؤ بالمستقبل بما يمتلكه الشاعر من وعي حضاري، تتيح للشاعر اختراق الواقع إلى دخيلاء العالم، وفهم جوهره، وبناء كون شعري تتحول فيه الكلمة إلى فعل، وتشكّل الرؤيا قطب رحى القصيدة، أو ربما نستطيع القول : مركز الكون الشعري، فتفجّر طاقة دينامية هائلة تمنح الصورة القدرة على التشكّل المتجدد لتسبر أغوار الماضي والحاضر، وتخترقهما لترسم صورة المستقبل .

ولا ضير أن نذكر هنا، بإيجاز، ما كتبه الدكتور صلاح فضل في كتابه " أساليب الشعرية المعاصرة " مستعرضاً دلالة مصطلح "الرؤيا " في النقد.

لقد وجد أنّ الشعرية الرومانسية تطلقه على الاستبصار الفني الذي تقوده الملكات العليا. أما " فراي"، فقد ربطه بفكرة النماذج البدئية، والأبنية الكلية العليا في المخيلة البشرية وتعبيراتها [48]، كما أصبح في النقد البنيوي التوليدي "رؤية العالم" بشروطها التوليدية الدقيقة في التعبير المتبلور عن الضمير الجماعي بوصفه محصلة عملية "التبئير" التي يقوم بها النص الأدبي بفواعله المتداخلة [49].

وهو عند الشعرية الألسنية – بامتداداتها الأسلوبية – له دلالة تعبيرية خاصة تشير إلى ((تضافر مجموعة من التقنيات التعبيرية ،المتصلة ببعض المستويات اللغوية ،خاصة النحوية، وطرق الترميز الشعرية المعتمد على القناع والأمثولة الكلية، وأنواع الصور وأنساق تشكيلاتها، تضافر كل تلك العوامل لتكوين منظور متماسك في النص، بما يجعل "الرؤيا" هي العنصر المهيمن على إجراءاتها التعبيرية والموجه لاستراتيجيتها الدلالية))[50]، وهذا لا يتعارض مع المفهوم الذي توصلنا إليه فالرؤيا تتوسل تقنيات الصورة الحديثة لتفجر دلالاتها الجمالية اللامتناهية عبر عملية التلقي الفعال.

وقد استخرج محمد إسماعيل دندي أهمّ الدلالات التي ارتبطت بها كلمة الرؤيا بوصفها مصطلحاً نقديّاً وشعريّاً ونوجزها فيما يلي :

الرؤيا بمعنى التهويم الرومانسي،وهي تدل عندئذٍ على البعد عن الواقع الموضوعي الذي يعيشه الناس، الرؤيا بمعنى الكشف والحدس والنفاذ إلى أعماق الواقع وأسراره، بحيث تكون الرؤيا مظهراً من مظاهر الكشف ،الرؤيا بمعنى تصور المستقبل واستشرافه والتنبؤ به، وبهذا تعبر الرؤيا عن وعي حاد باللحظة الراهنة، الرؤيا بمعنى " وجهة نظر في

---

[46] خيرة حمر العين. جدل الحداثة في نقد الشعر العربي .51.

[47] محمد جمال باروت. *الشعر يكتب اسمه* (دمشق: اتحاد الكتاب العرب ،دون رقم الطبعة،1981)62.

[48] د. صلاح فضل .*أساليب الشعرية المعاصرة* (بيروت: دار الآداب، الطبعة الأولى، 1995) 111.

[49] د. صلاح فضل .*أساليب الشعرية المعاصرة* (بيروت: دار الآداب، الطبعة الأولى، 1995) 111.

[50] د. صلاح فضل .*أساليب الشعرية المعاصرة* (بيروت: دار الآداب، الطبعة الأولى، 1995) 111.

الحياة"، وهنا تلعب الرؤيا دوراً مهماً في تقديم موقف الشاعر وفلسفته،الرؤيا باعتبارها أداة أو منهجاً فنيّاً لصياغة الشعر الحديث،إذ تكون الرؤيا أداة الشعر التي تعيد صياغة العالم على نحو جديد ؛ كما يذكر دلالات أخرى للرؤيا وهي: الرؤيا بمعنى الخيال، أو الخلق الخيالي، الرؤيا بمعنى المضمون، في مقابل الشكل، الرؤيا بمعنى اللاشعور [51].

وقد فصّل محمد إسماعيل دندي في دلالات الرؤيا السابقة مستعرضاً بعض النماذج الشعرية لأدونيس، وخليل حاوي، والسياب، ومحمد عمران، وغيرهم من معاصريهم وقد بذل جهداً في توضيح دلالات الرؤيا اصطلاحاً ومفهوماً، دون الوصول إلى مفهوم نهائي للرؤيا، وتبقى دراسته تجميعية، رغم بعض المحاولات التحليلية لبعض الآراء النقدية والصور الشعرية .

مما تقدم نخلص إلى أنّ الرؤيا ترتبط بالمستقبل، والكشف، والحدس، والشمولية، كما أنّ الوعي (وعي الشاعر، وعي المتلقي)عنصر مهم من عناصرها، وهذا يعني، بحال من الأحوال، مشاركة المتلقي في الإبداع من خلال عملية استشفاف الرؤيا المجسدة في العمل الفني، كما أننا نجد أنّ القصيدة الجديدة لم تعد حكاية أو أفكاراً ،أو زخرفاً ،أو وصفاً، إنما راح الشاعر الجديد يقيم القصيدة – الدفعة الكيانية، القصيدة – الرؤيا الكونية [52]، وهذه قصيدة ((تنمو في اتجاه الأعماق في سريرة الإنسان ودخيلائه، وتنمو أفقياً في تحولات العالم. وهي لا تصدر مصادفة عن " مزاج" أو "وحي" بل تصدر بدفعة واحدة ورؤيا واحدة، وحدس واحد)) [53].

ومن هنا، يتطلع الشاعر الجديد إلى القصيدة المنفتحة الزاخرة بممكنات كثيرة بدلاً من القصيدة المغلقة التي لاتفسر إلا بطريقة واحدة. ولئن كانت القصيدة المغلقة شكلاً بالضرورة، فإن للقصيدة المنفتحة شكلاً منفتحاً بالضرورة[54].

تلك هي أبرز المعاني الرئيسة لمفهوم الرؤيا، تتبعنا ما كتب عنها نقاد معاصرون اهتموا بها، ويبقى أن نقول : إنّ المصطلحات الجديدة، تتشعب كثيراُ على أقلام النقاد والدارسين مما يؤدي إلى وقوع القرّاء في شرك المصطلحات وفوضى التسميات، وتبعدهم عن الحركة الأدبية الحديثة، وتكون عائقا في فهم الشعر المعاصر وإدراك أبعاده الجمالية، وإذا تنبّه الدارسون المعاصرون إلى أهمية الصورة الرؤيوية ودراستها في الشعر فأضحت الرؤيا قضية مهمة تشغل حيزاً واسعاً من المساحة النقدية، فإنه من المهم تضافر جهود المهتمين بالشعر والنقد الحديثين لتحديد مفاهيم المصطلحات النقدية تحديداً واضحاً بعيداً عن التشابك والغموض.

خاتمة:

بعد هذه الدراسة المتواضعة والسعي إلى تحديد مفهوم الرؤيا في النقد المعاصر نخرج بمجموعة نتائج نكثفها فيما يلي:

- إنّ مصطلح الرؤيا متشعب كثيراً ويرتبط مفهومه بمرجعية الناقد ومنهجه .
- تشير الدلالات القديمة للرؤيا إلى ارتباط هذا المصطلح بالدلالة على الحلم .

---

[51] راجع: محمد إسماعيل دندي. *حداثتنا الشعرية"مفهومها وإشكالاتها "*. 38 وما بعدها .

[52] أدونيس. مقدمة للشعر العربي. 106.

[53] أدونيس. مقدمة للشعر العربي. 106.

[54] المرجع السابق نفسه.107.

-إنّ الرؤيا تزيد الشاعر تفرداً وأصالةً وتنير تجربته وتسعفه في تقديم موقفه من العالم وتوضّح وعيه الحضاري ونظرته الشمولية للكون.

-تتيح الرؤيا للشاعر الكشف عن الغيب، والنفاذ إلى حقائق الأشياء، والقدرة على الإبداع والتغيير الدائم .

-إنّ القصيدة الرؤيا تفسح المجال للمتلقي في المشاركة الإبداعية عبر قراءة تأويلية جمالية تتيح له تكوين الرؤيا التي يعايشها من خلال القراءة أو الاستماع ،إضافةً إلى بعض المفاهيم والنتائج التي توصلت إليها الدراسة في سياقها.

تأسيساً على ما سبق نستطيع القول :

إنّ هذه الدراسة حاولت أن تكون جادة في تقصيها مفهوم الرؤيا في النقد العربي المعاصر معتمدةً على المصادر والمراجع العربية – قدر المستطاع- ومحاولة عرض بعض آراء النقاد المعاصرين المبرّزين مع إضاءة بعض الآراء حيناً، وتوضيح موقفنا منها حيناً آخر، محاولين أن نكون موضوعيين في عرض هذه الآراء، وتقديمها بصورتها الصحيحة.

وعليه، فإننا نجد أنّ الرؤيا هي كشف، وابتكار، وتغيير دائم اعتماداً على استيعاب الماضي، وفهم الحاضر، والنفاذ إلى دخيلائه للتنبؤ بالمستقبل، والمشاركة بصنعه.

المصادر والمراجع:

(1)- **القرآن الكريم.**

(2)- آبادي، الفيروز. القاموس المحيط، الجزء الرابع. مصر : مطبعة مصطفى البابي الحلبي، الطبعة الثانية، 1952 .

(3) – أدونيس.الثابت والمتحول، الجزء الثالث " صدمة الحداثة". بيروت : دار العودة،الطبعة الرابعة،1983.

– زمن الشعر. بيروت: دار العودة، الطبعة الثانية، 1978.

– مقدمة للشعر العربي. بيروت، دار العودة، الطبعة الرابعة ،1971.
(4)– باروت ،محمد جمال. الشعر يكتب اسمه.اتحاد الكتاب العرب ،دون رقم الطبعة ،1981.
(5)– د. جابر، يوسف. قضايا الإبداع في قصيدة النثر. دمشق : دار الحصاد، الطبعة الأولى، 1991.
(6)– جماعة من الأساتذة السوفييت . أسس علم الجمال الماركسي اللينيني، الجزء الثاني ،تعريب : د. فؤاد المرعي. دمشق: دار الجماهير العربية – بيروت : دار الفارابي، دون رقم الطبعة ،1978.
(7)– حمر العين،خيرة. جدل الحداثة في نقد الشعر العربي. دمشق:اتحاد الكتاب العرب،دون رقم الطبعة ،1996.
(8)– خميس، شوقي. المنفى والملكوت في شعر عبد الوهاب البياتي .بيروت : دار العودة، الطبعة الأولى ،1971.
(9)– دندي، محمد إسماعيل. حداثتنا الشعرية"مفهومها وإشكالاتها". دمشق :دار معد،الطبعة الأولى، 1996.
(10)– رضا، أحمد. معجم متن اللغة، المجلد الثاني. بيروت: دار مكتبة الحياة، دون رقم الطبعة،1958.
(11)– د. سعيد، خالدة. حركية الإبداع "دراسات في الأدب العربي الحديث ". بيروت: دار العودة، الطبعة الثانية، 1982.
(12)– د.شكري، غالي. شعرنا الحديث إلى أين ؟. بيروت: دار الآفاق الجديدة، الطبعة الثانية،1978.
(13)– صبحي، محيي الدين. دراسات تحليلية في الشعر العربي المعاصر. دمشق: وزارة الثقافة، دون رقم الطبعة، 1972.
– الرؤيا في شعر البياتي. دمشق : منشورات اتحاد الكتاب العرب، دون رقم الطبعة،1986.
(14)– د. عساف ،عبد الله. الصورة الفنية في قصيدة الرؤيا" تجربة الحداثة في مجلة شعر وجيل الستينيات في سورية ". القامشلي: دار دجلة، الطبعة الأولى ،1996.
(15)– د .عوض، ريتا ."رائد القصيدة الحديثة يعيد للشعر دوره الحضاري " ،مقدمة ديوان خليل حاوي.بيروت: دار العودة، دون رقم الطبعة ،1993.
(16)– د. غزوان، عناد."الصورة في القصيدة العراقية الحديثة ". مجلة الأقلام، بغداد، (س22)، العددان /11-12/،1987.
(17)– د. فضل، صلاح. أساليب الشعرية المعاصرة. بيروت : دار الآداب، الطبعة الأولى ،1995.
(18)– كمال بك ،جمال. "ملامح قراءة التجربة الشعرية عند البياتي ". مجلة الموقف الأدبي، دمشق، (س26)، العدد/307/ تشرين الثاني، 1996 .
(19)– د. المرعي، فؤاد. مقدمة في علم الأدب .بيروت : دار الحداثة، الطبعة الأولى ،1981.
(20)– مسلم. صحيح مسلم، الجزء الرابع. بيروت : دار إحياء التراث العربي، الطبعة الثانية ،1972.
(21)– ابن منظور. لسان العرب، المجلد الرابع عشر : بيروت، دار صادر، دون رقم الطبعة، دون تاريخ.